فقه المسائل (33)

السؤال : ما حقيقة الروح وما علاقتها ببدن الإنسان من خلال عقيدة أهل السنة والجماعة ؟

•·········•✿❁✿•·········•

الجواب :

▪أولا :

لا أحد يحيط بحقيقة الروح سوى خالقها لقوله تعالى : {قل الروح من أمر ربي}

▪ثانيا :

إن الروح حادثة مخلوقة خاضعة لتدبير الله وقوته، ليست أزلية كما زعمت الفلاسفة الملحدين بأن الروح قديمة قال تعالى : {الله خالق كل شيء}، ولقوله صلى الله عليه وسلم :[الأرواح جنود مجندة ...] البخاري .

والجنود مخلوقون، ومن زعم أن الروح قديمة كقدم الله غير مخلوقة أو هي شيء من ذات الله كما زعمت النصارى في ابن مريم عليه السلام، فهو كافر كأسلافه الفلاسفة مكذب لله ورسوله وإجماع الأنبياء والمرسلين، نقل الإجماع على هذه المسألة ابن تيمية في المجموع (٤/ ٢١٦ - ٢٣٠) .

▪ثالثا :

الإنسان مركب من جسد وروح، فالجسد مخلوق من المادة الطينية كأبينا آدم عليه السلام، ونسله من مني يمنى، والروح خلقها من مادة أخرى غير مادة الجسد، فلا يعلم أحد اسم المادة التي خلقت منها الروح أهي من نور أومن الهواء أو من غيرها لقوله تعالى : {قل الروح من أمر ربي}، وبهذا نعلم أنها ليست من أجزاء جسد الإنسان ولا أبعاضا منه، بل الروح من الجسد بمثابة ساكن البيت، فساكن الدار ليس من أجزاء البيت، ولا أحد يعلم تحديد مستقرها في جسم الإنسان .

▪رابعا :

اختلفوا في تفسير الروح فبعضهم قال : إنها الدم؛ وبعضهم قال : إنها جسم نوراني لطيف تسري في البدن كسريان الماء في العود والسمن في اللبن؛ لكن لا يتجاسر أحد أن يجزم بتفسير لها سوى ما ثبت في السنة النبوية بأنها جسم محسوس يطير بأجنحة يراها الميت حين تخرج من بدنه عند موته وليست عرضا أو معنى كالعلم أو الجوع والعطش بل هي ذات مستقلة بنفسها بدليل قوله عليه الصلاة والسلام :[إن الروح إذا قبض تبعه البصر] رواه مسلم ٩٢٠ .

والبصر لا يتبع أو يشاهد إلا الأجسام المحسوسة، وقال عليه الصلاة والسلام : [إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة] الموطأ ٢٤٠ .

وهذ الحديث مسلسل بالأئمة الثلاثة فقد رواه الإمام أحمد عن الإمام الشافعي عن الإمام مالك إلى نهاية الإسناد، وثبت أيضا أن الروح تكفن وتحنط وتطيب كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، ولحديث : [إن الله قبض أرواحكم الليلة... ] والقبض والطيب والحنوط من شأن الأجسام، صحيح أبي داود ٤٧٥٣ .

▪خامسا :

إن الروح من المخلوقات الدائمة التي لا يلحقها فناء ولا عدم لكونها خلقت للبقاء وإنما تموت وتفنى الأجساد فقط، وأما موت الروح إنما هي عملية انتقال من الجسد إلى عالم البرزخ، ولو افترضنا أن الأرواح تعدم لا نقطع عنها النعيم والعذاب قطعا، أنظر شرح السفارينية ص ٢١١، لابن مانع .

◈ قلت : ولا مانع أن الروح تذوق مرارة الموت وتعاني كربه وشدائده لكنها لا تموت، مثلها مثل عجب الذنب من الإنسان، عرش الرحمن والجنة، النار، حوريات الجنة وغلمانها لا يموتون ولا يعدمون .

▪سادسا :

الفرق بين الروح والنفس .

قيل : إن الروح والنفس شيء واحد، وقيل : إن كانت الروح في البدن سميت نفسا، بدليل قوله تعالى : {يا أيتها النفس المطمئنة أرجعي...}، وفي الحديث [أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة ...] والخطاب موجه للروح داخل الجسد، وإن كانت خارج البدن سميت روحا بدليل قوله عليه الصلاة والسلام : [ثم ينفخ فيه الروح]، وحديث [إن الله قبض أرواحكم الليلة حيث شاء وردها حين شاء] رواه البخاري .

والقول بالفرق بينهما في التسمية هو الأقرب للصواب والله أعلم، أنظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٦٠٠ .

▪سابعا :

هل خلقت الأرواح قبل الأجساد أم بعد الأجساد ؟

قيل : إن الأجساد خلقت قبل الروح بدليل قوله عليه الصلاة والسلام في الجنين [ثم ينفخ فيه الروح]، فصار نفخ الروح بعد مراحل من تخليق الجسم في بطن الأم، وقيل : إن الروح خلقت قبل الأجساد بدليل أخذ الميثاق الأول من بني آدم فأجابوا ربهم وهم نسم في ظهر أبيهم آدم عليه السلام - قال تعالى : {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ...}

فخطاب الله للأرواح وهم في ظهر أبيهم آدم وإقرارهم بالتوحيد نطقا دليل على وجودهم قبل إيجاد تكوين الأجساد، ولقوله صلى الله عليه وسلم : [لما خلق الله آدم مسح على ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة] صحيح الترمذي ٣٠٧٦

وهذان نصان في المسألة يدلان أن وجود الأروح متقدم على وجود الأجساد .

▪ثامنا :

للروح مع البدن أربعة أحوال :

الحال الأولى = أول علاقة نشأت بين الروح والبدن عند اتصالها بالجسد في بطن الأم .

الحال الثانية = خروجه من بطن أمه إلى الحياة الدنيا الخارجية وفي هذا الطور لا يلحقه التكليف الشرعي إلا بعد سن البلوغ والعذاب والنعيم في هاتين المرحلتين يقعان على البدن أصالة والروح تبعا له .

الحال الثالث = عند الموت تنفصل الروح عن الجسد واختلف الناس أين مستقرها بعد الموت والذي يدل عليه السنة والكتاب، أن أرواح المؤمنين والشهداء تعود إلى ربها فتعلق في أشجار الجنة قال تعالى : {يا أيتها النفس المطمئنة أرجعي إلى ربك ...}، وقال في الشهداء {بل أحياء عند ربهم يرزقون}، وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام : [إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في أنهار الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه]صحيح ابن حبان ٧٣٤ .

وبعض أرواح المؤمنين تحبس على باب الجنة وهم أصحاب الديون لحديث عند ابن ماجة ٢٤٣٣، وأما أرواح بعض العصاة والمذنبين، فمنهم يكون في تنور كالزناة والزواني ومنهم من يشرشر شدقه وهم الكذابون، وآخرون في بحر الدم وهم آكلي الربا والحديث عند البخاري ١٣٢٠، وأما أرواح الكفار فمحبوسين في سجين أسفل الأرض .

الحال الرابع = اتصال الروح بالجسد في القبر حين سؤال الملكين ثم تعود روح المؤمن إلى الجنة، وفي هاتين المرحلتين يجري العذاب والنعيم على الروح أصالة والجسد تبعا لها .

الحال الخامسة = اتصال الروح بالجسد عند قيام الساعة، وفي هذه المرحلة يجري العذاب والنعيم على الروح والجسد معا، والمختار من التأويل أن البعث يكون لنفس الجسد الذي تحلل في الأرض وليس لحما أو عظما آخر، بل الإعادة لنفس الأعضاء الأولى، لقوله تعالى : {كما بدأنا أول خلق نعيده}، ولقوله عليه الصلاة والسلام : [يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده ...] رواه مسلم .

الحال السادسة = حال الروح مع البدن حال النوم، من المقطوع به من الأدلة الشرعية أن الروح تفارق بدن الإنسان مفارقة جزئية يكون فيها الجسد حيا كحياة النبات، قال ابن حجر في الفتح : ((لا يلزم من قبض الروح الموت، فالموت انقطاع تعلق الروح بالبدن ظاهرا وباطنا وحال النوم انقطاعها عن البدن ظاهرا فقط)) أنظر الفتح ج٢ ص ٣٧٦ .

كما قال تعالى : {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى}، ولقوله عليه الصلاة والسلام : [إن الله قبض أرواحكم حيث شاء وردها عليكم حين شاء] البخاري ٥٧٠، قال ابن عباس رضي الله عنه : ((إن أرواح الأحياء والأموات، تلتقي في المنام فتتعارف ماشاء الله منها فإذا أراد جميعها الرجوع إلى الأجساد أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها)) تفسير القرطبي ج١٨ ص ٢٨٤ .

▪تاسعا :

ذهب بعض أهل العلم إلى إن روح المؤمن حال النوم تخرج وتشق السموات السبع حتى تسجد تحت العرش ثم ترد إلى جسده في أيسر زمان، لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : [روح النائم تصعد إلى سبع سماوات حتى تصل إلى العرش فمن كان طاهرا سجدت عند العرش ومن كان غير طاهر سجدت بعيدا عن العرش] رواه البخاري في التاريخ الكبير ج٦ ص ٢٩٢، موقوفا على عبد الله بن عمرو رضي الله عنه - وقال البخاري : لا أراه يصح، لأن في سنده علي بن غالب الفهري، قال فيه ابن حبان : كان كثير التدليس . انظر ميزان الإعتدال للذهبي- ج٣ ص ١٤٩

وبهذا فالأثر لا يصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم - ولا يمكن وصف شيء كهذا بالإجتهاد لكونه أمرا غيبيا فلا مجال لمدركات العقول فيها، وبناء عليه فلا يجوز الإعتماد على هذا الخبر لضعفه .

▪عاشرا :

اختلف أهل العلم في جواز اهداء ثواب العمل الصالح إلى أرواح الأموات .

فقد ذهبت الشافعية إلى عدم انتفاع الميت بإهداء ثواب عمل الأحياء إلى الأموات واحتجوا بقوله تعالى : {وإن ليس للإنسان إلا ما سعى}، أي : لا يصل إلى العبد من أجر وثواب إلا ما باشره هو بنفسه، وبقوله صلى الله عليه وسلم : [إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ...]

وذهبت الحنابلة إلى صحة إهداء ثواب العمل الصالح وانتفاع الأموات بذلك واستدلوا بالآتي :

١- قضاء الصوم نيابة عن الميت لقوله صلى الله عليه وسلم :[من مات وعليه صوم، صام عنه وليه]

٢- الاستنابة في فريضة الحج لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :[حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة]

٣- الصدقة نيابة عن الميت لقول سعد رضي الله عنه : يا رسول إن أمي ماتت فأتصدق عنها قال : [نعم] .

٤- جواز انتقال حسنات أشخاص إلى أشخاص آخرين قصاصا يوم القيامة ومن ثم جواز انتقالها من المتبرع بها إلى غيره في الدنيا .

وبناء على هذا فلو تلا شخص قرآنا أو صلى ركعتين نافلة أو سبح الله واهدى ثوابها للميت وصل ثوابها إلى الميت وهذا القول تؤيده الأدلة الواضحة السابقة .

وأما أدلة الشافعية الآية والحديث فالمراد بهما : إنقطاع عمل الميت الذي يباشره بنفسه فلا تشمل عمل غيره، أو أن الدليلين عامان دخلهما التخصيص .

اختار هذا القول العلامة ابن عثيمين رحمه الله .

✍ كتبه أبوحمزة زاهد الساحلي

═════ ❁✿❁ ═════

☜ *تابع قناتنا على التلجرام*☟

t.me/zahedessaheli/215